©International Journal of West Asian Studies
EISSN: 2180-4788. Vol. 3 No. 1 (pp 111-134) DOI: 10.5895/ijwas.2011.06

Israel, Jerusalem, and the Identity Crisis

إسرائيل والقدس وأزمة الهوية

Abdallah Ma'rouf Omar
a.omar09@aberdeen.ac.uk
Islamic Community College
Al-Balqa' Applied University - Jordan

Article received on 18 June 2010; Article published online on 30 June 2011

Abstract

After more than 62 years of its formation, Israel is now facing a crisis in one of the major aspects of its entity, namely its identity; many of the members of Jewish-Israeli public, in particular, are facing a crisis in identifying their character within the contemporary world, especially with the rise of rejection of Israel in the Arab and Muslim worlds. The Israeli people are facing a problem in defining their tie, and thus, there has been a crucial need to re-gather the Israelis on one symbol that represents "*'Ām Ysra'il*" (i.e. the People of Israel). This symbol is Jerusalem. Therefore, it is noted that Israel has intensified work towards Judaizing Jerusalem and insisting on its Jewish character recently, in addition to the insist on requesting the Palestinians and the Arab and Muslim world to admit "The Jewish Israel", which reflects Israel's fear of demolishing of the whole Zionist project in that area from inside. This paper analyzes the current identity crisis that Israel faces and the procedures taken by Israel towards solving this problem through "bringing the symbol to life", i.e. Jerusalem in particular, in addition to touch upon the reaction of the PLO and the Palestinian Authority to this challenge.

Keywords: Israel, Jerusalem, Jewish State, Judaization, Middle East.

ملخص:

بعد مرور أكثر من اثنين وستين عاماً على إنشاء دولة إسرائيل، تواجه هذه الدولة اليوم ما يمكن اعتباره أزمة حقيقية في الهوية، والتي تشكل أحد أهم عوامل تأسيس وبقاء هذه الدولة. حيث يواجه الكثير من أبناء المجتمع الإسرائيلي اليهودي بالذات أزمة واضحةً في تحديد هويتهم وشخصيتهم ضمن العالم المعاصر ومتغيراته، خاصة مع تنامي الرفض الشعبي لوجود إسرائيل في العالم العربي والإسلامي. ويواجه عموم الإسرائيليين مشكلة في تحديد الرابط الذي يجمعهم اليوم. ولذلك برزت في الدوائر السياسية لهذه الدولة في الفترة الأخيرة حاجة لإعادة تجميع المجتمع الإسرائيلي المنقسم على نفسه حول رمز يمثل "شعب إسرائيل" الواحد الذي قامت على أساسه دولة إسرائيل. وهذا الرمز هو مدينة القدس. ولذلك شهدت الفترة الأخيرة تنامياً وتكثيفاً ملحوظاً في محاولات

تهويد مدينة القدس وتأكيد هويتها اليهودية التي أعلنتها دولة إسرائيل كعاصمة ورمز للشعب الإسرائيلي، إضافة إلى الإصرار الإسرائيلي على اعتراف الفلسطينيين والعرب والمسلمين بيهودية دولة إسرائيل، مما يعكس في الواقع تخوف إسرائيل من انهيار المشروع الصهيوني في المنطقة من الداخل. تبحث هذه الورقة في أزمة الهوية التي تواجهها إسرائيل اليوم، والخطوات التي تنتهجها هذه الدولة لتهويد القدس في محاولتها لحل المعضلة عن طريق "إحياء الرمز" الجامع للشعب الإسرائيلي وهو القدس، كما تبحث الورقة بإيجاز رد الفعل الفلسطيني الرسمي الممثل بمنظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية الفلسطينية تجاه هذه التحديات.

الكلمات المفتاحية: ***إسرائيل، القدس، الدولة اليهودية، التهويد، الشرق الأوسط***

EISSN: 2180-4788. Vol. 3 No. 1 (pp 111-134) DOI: 10.5895/ijwas.2011.06

مقدمة

عندما ظهرت فكرة إقامة دولة لليهود من خلال كتاب "دولة اليهود" لثيودور هرتزل، كانت الفكرة الأساسية التي وضعها هرتزل تقوم على مبدأ دولة قومية لما أطلق عليه "الشعب اليهودي"، وكانت إحدى أهم الركائز التي انطلق منها المشروع –الذي تحول فيما بعد إلى حركة صهيونية تبلورت في المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا عام 1897م– يقوم على أساس ما يسمى "العِرق اليهودي" ووحدته في جميع أنحاء العالم.

وكان هذا هو النفس السائد في جميع المخاطبات والدراسات التي قام هذا المشروع عليها كما يظهر في صيغة وعد بلفور على سبيل المثال[1]، والذي لم يتوان عن إطلاق لفظ "الشعب اليهودي" على المجموعة البشرية التي كان من المفترض حسب المشروع تجميعها في فلسطين، بينما أطلق على الشعب الفلسطيني الموجود هناك لفظ "الطوائف غير اليهودية"، وهو تقسيم فريد من نوعه في ذلك الوقت وفي نفس الوقت غير مفهوم، خاصة أنه خلط الدين بالعرق، فاعتبر أتباع الدين اليهودي عرقاً، واعتبر أبناء العرق العربي الفلسطيني طوائف مقسمة حسب أديانهم.

ومع مرور السنوات وإنجاز بناء مشروع "دولة إسرائيل" وإعلانها على يد ديفيد بن غوريون عام 1948م، لوحظ أن التأكيد على رابط اليهودية كان واضحاً منذ بداية الإعداد للمشروع حتى فترة ما بعد حرب عام 1973م، إلا أن هذا الرابط بين أفراد الشعب الإسرائيلي –وبالتحديد اليهود منهم– لم يعد الرابط الذي يمكن أن يعتمد في إبقاء دولة إسرائيل على قيد الحياة، خاصة في الوقت الحاضر ومع ازدياد الهوة بين المنادين بعلمانية الدولة وهويتها الدينية. وهذا الصراع وإن كان مجهول البدايات إلا أنه بدأ يطفو بوضوح على السطح من خلال الأنباء التي تتوارد من القدس بأعمال العنف والفتاوى المختلفة التي يقوم بها المتدينون في القدس ضد أعمال اليهود العلمانيين وغير المتدينين في أيام السبت (موقع مدينة القدس 2009/8/30م). ويمكن للوهلة الأولى ملاحظة فارق واضح بين الخطاب الصهيوني القديم والحديث المتعلق بالهوية الإسرائيلية وروابط المجتمع الإسرائيلي.

إشكالية الهوية الإسرائيلية

يرى رشاد الشامي (1997: 11–12) أن هناك سمات قومية إقليمية نمت في داخل إسرائيل يفتقر إليها اليهود الآخرون خارج الدولة (وهم بالمناسبة أغلبية مقارنة باليهود الذين يقيمون داخل دولة إسرائيل)، كما أن اليهود المولودين في إسرائيل يشعرون بالغربة تجاه اليهود خارجها، وظهرت في إسرائيل الثقافة العلمانية التي تفتقر إلى السمة اليهودية التي تميز المجتمع اليهودي الذي

[1] نص وعد بلفور على التالي : (His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a National Home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country) والترجمة: (إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف تجاه إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل قصارى جهدها لتحقيق هذه الغاية، على أن يكون مفهوماً بوضوح عدم اتخاذ أي إجراء يمكن أن يمس بالحقوق المدنية والديني للطوائف غير اليهودية في فلسطين، أو بالحقوق والامتيازات التي يتمتع بها اليهود في أي دولة أخرى). (Sabbagh 2007: 118)

يسكن في البلدان الأخرى. وهذا الأمر خلق إشكاليات كثيرة في العلاقة بين الهويتين: الإسرائيلية السياسية، واليهودية الدينية أو العرقية. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هناك مشكلة واضحةً في تعريف اليهودي في المجتمع الإسرائيلي اليوم، فاليهودي في المنظور الديني هو الذي يؤمن بالديانة اليهودية فقط، أما اليهودي في المنظور العرقي فهو ابن الأم اليهودية بالذات، وبالتالي يبقى يهودياً مهما تغير دينه. وضمن هذه التعريفات تظهر مشكلة المتهودين على سبيل المثال، أي الذين يعتنقون الدين اليهودية، وإن كان عدد هؤلاء صغيراً إلا أنه يفتح إشكاليات واضحةً خاصة في طريقة التعامل معهم، لاسيما أن تعديلات قانون العودة الإسرائيلي لعام 1950م والتي أقرت عام 1970م والمعمول بها حالياً في دولة إسرائيل تعرف اليهودي في البند 4B بأنه "الشخص المولود لأم يهودية أو الذي اعتنق الديانة اليهودية ولا يتبع

ديانة أخرى"[2] وهذا التعريف بحد ذاته فتح إشكالية تعريف معتنق الديانة اليهودية من ناحية تحديد من له الحق في الاعتراف باعتناق شخص ما الديانة اليهودية حسب الشريعة اليهودية وتفسيراتها الكثيرة، سواء كانت المرجعيات الدينية اليهودية داخل إسرائيل أو خارجها، وكذلك المرجعيات اليهودية الحريدية (الشرقية) أو الأشكنازية (الغربية) أو غيرها.

إضافةً إلى ذلك، فإن إشكالية الهوية في إسرائيل اليوم وتباينها بين الهوية "اليهودية" والهوية "الإسرائيلية" أصبح واضحاً خاصة بين التيارين: العلماني والمتدين في الدولة، ومع أن التيار العلماني في الدولة يبقى دائماً صاحب الأغلبية، إلا أن تأثير الأحزاب الدينية يبدو واضحاً في السياسة الإسرائيلية الداخلية والخارجية، ويكفي من ذلك الإشارة إلى التزام إسرائيل في قوانينها عموماً بتعاليم عطلة السبت والطعام الحلال (الكوشير) والأعياد الدينية اليهودية والتعليم وقوانين الأحوال الشخصية بالرغم من أن مؤسسي الكيان أنفسهم كانوا علمانيين، وبعضهم كان يرى في التدين والالتزام الحرفي بتعاليم الهالاخاه (أي الشريعة) اليهودية خطراً على الدولة نفسها، ومن هؤلاء الساسة ديفيد بن غوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل، وهو الذي أعلن قيام الدولة عام 1948م، وهذا نفسه هو الذي أرسى للمتدينين اليهود أساسات التأثير في السياسات الداخلية للدولة عبر وثيقة "الوضع الراهن" التي أرسلها للقيادات المتدينة اليهودية عند إنشاء الدولة، وأكد فيها التزام الدولة الناشئة آنذاك بالنقاط المتعلقة بالسبت والطعام والقوانين الشخصية والتعليم، بالرغم من إعلانه الواضح عن علمانيته وخلافه الشديد مع التيارات اليهودية الدينية في الدولة، وهذه الوثيقة كانت وما زالت الإطار الأساسي المتفق عليه بين قطبي الدولة: العلمانيين والمتدينين (انظر الشامي 1997: 278-279).

وأما عن وضع القدس في هذه المعادلة، فالقدس تعتبر في إسرائيل اليوم ما يمكن أن يسمى "نقيضاً" لتل أبيت من حيث الشخصية والهوية، فتل أبيب يمكن أن تسمى عاصمة العلمانيين في إسرائيل، بينما تعتبر القدس عاصمة التدين في الدولة إلى حد خشية بعض الدوائر الإسرائيلية إلى تحولها إلى غيتو يهودي متدين باعتبارها المنطقة التي تحمل الثقل الأكبر للمتدينين في إسرائيل. وبالرغم من ذلك، فإن القدس —التي تعتبر طرفاً في صراع التدين والعلمانية في إسرائيل– هي نفسها العاصمة التي تجتمع عليها

[2] Israel Ministry of Foreign Affairs, Law of Return 5710-1950, http://www.mfa.gov.il/MFA/MFAArchive/1950_1959/Law%20of%20Return%205710-1950, (accessed June 2, 2010)

EISSN: 2180-4788. Vol. 3 No. 1 (pp 111-134) DOI: 10.5895/ijwas.2011.06

جميع الأحزاب والحركات الإسرائيلية على تنوعها، ويجتمع عليها المجتمع الإسرائيلي بكليته في رفض أي تفاوض بشأنها وفي اعتبارها العاصمة الموحدة والأبدية لدولة إسرائيل.

ويبدو هذا الأمر واضحاً عند دراسة التوزيع الجغرافي حسب نسب التدين لدى المجتمع الإسرائيلي اليهودي، ففي دراسة لمركز القدس لدراسات إسرائيل للفترة بين عامي 2006 و2008،[3] عرَّف ما نسبته 61% من السكان اليهود في القدس أنفسهم بكونهم متدينين عموماً سواء كانت نوعية هذا التدين حريدية (في أقصى درجات التدين) أو متدينة عموماً أو تقليدية متدينة، فيما انخفضت نسبة من عرفوا أنفسهم بعيداً عن الدين عموماً إلى 39% فقط من السكان اليهود في المدينة، سواء كان هذا التعريف بكونهم علمانيين أو تقليديين غير متدينين بشكل كبير. وهذه النسبة يقابلها في مدينة تل أبيب على سبيل المثال حوالي 16% للمتدينين و 85% لغير المتدينين، وهذه الفروق في النسب تظهر في مدن ساحلية أخرى مثل حيفا وأشدود، أو مدن داخلية قريبة من الساحل مثل ريشون لتسيون (انظر الجدولين 1 و 2)، والفرق الواضح بين النسب في هذه المناطق (انظر الشكلين رقم 1 و 2). (Choshen and Korach 2010: 28).

الجدول 1: التعريفات الدينية في المجتمع اليهودي في إسرائيل حسب التدين عموماً

التعريف الديني عموماً	إسرائيل	القدس	تل أبيب	حيفا	ريشون لتسيون	أشدود
متدين	%32	%61	%16	%14	%17	%37
علماني	%69	%39	%85	%85	%83	%63

[3] يلاحظ أن هذه الإحصائيات لا تتجاوز عام 2008 بالرغم من أنها منشورة عام 2010، والسبب في ذلك أن الدوائر الإسرائيلية المختصة لا تسمح بنشر المعلومات الإحصائية على الفور، وإنما تنشر المواد بفارق يختلف من مؤسسة إلى أخرى، وفي حالة مركز القدس لدراسات إسرائيل، فإنه يصدر دراساته وإحصاءاته بفارق عامين كاملين، حيث ينشر معلومات عام 2008 على سبيل المثال في عام 2010، ومعلومات عام 2009 في عام 2011 وهكذا، ولذلك فإن معلومات سنة 2010 غير متوفرة حالياً ولن تكون على الأغلب متوفرة إلا في عام 2012. وينبغي التأكيد هنا على أن هذا الأمر يتعلق بمدينة القدس بشكل خاص، أما الدراسات الإحصائية العامة لإسرائيل فإن دائرة الإحصاء المركزي الإسرائيلي تنشر المواد الإحصائية فيها بفارق عام واحد، لكن مشكلة هذه المواد الإحصائية تتمثل في كونها لا تتعلق بالقدس ولا تنشر معلومات خاصة بمدينة القدس وإنما تنشر معلومات تتعلق بمقاطعة القدس الإحصائية كما سيتبين لاحقاً خلال هذه الدراسة. ولهذه الأسباب فإنه سيتم الاكتفاء بالمواد المتوفرة حالياً في المصادر.

الجدول 2: التعريفات الدينية في المجتمع اليهودي في إسرائيل حسب أنواع التدين أو العلمانية بالتفصيل

التعريف الديني بالتفصيل	إسرائيل	القدس	تل أبيب	حيفا	ريشون لتسيون	أشدود
حريدي	%8	%29	%2	%3	%2	%10
متدين	%10	%18	%5	%4	%5	%7
تقليدي متدين	%14	%14	%9	%7	%10	%20
تقليدي غير متدين جداً	%26	%19	%26	%22	%35	%32
علماني	%43	%20	%59	%63	%48	%31

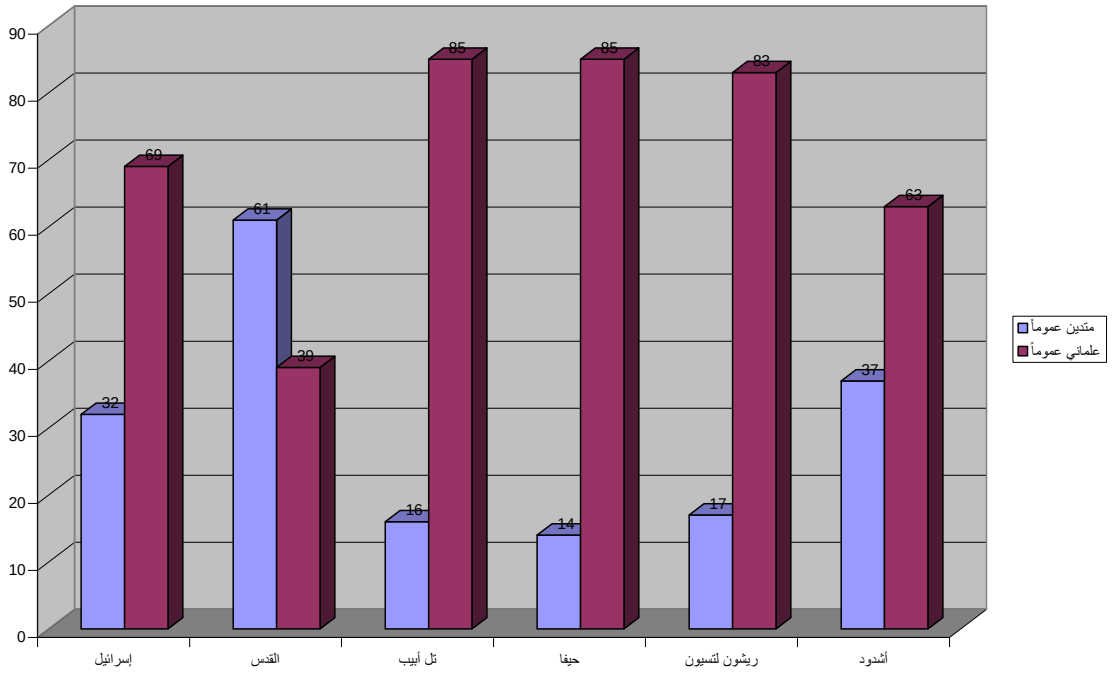

الشكل 1: نسب المتدينين إلى العلمانيين في إسرائيل وعدد من المدن

EISSN: 2180-4788. Vol. 3 No. 1 (pp 111-134) DOI: 10.5895/ijwas.2011.06

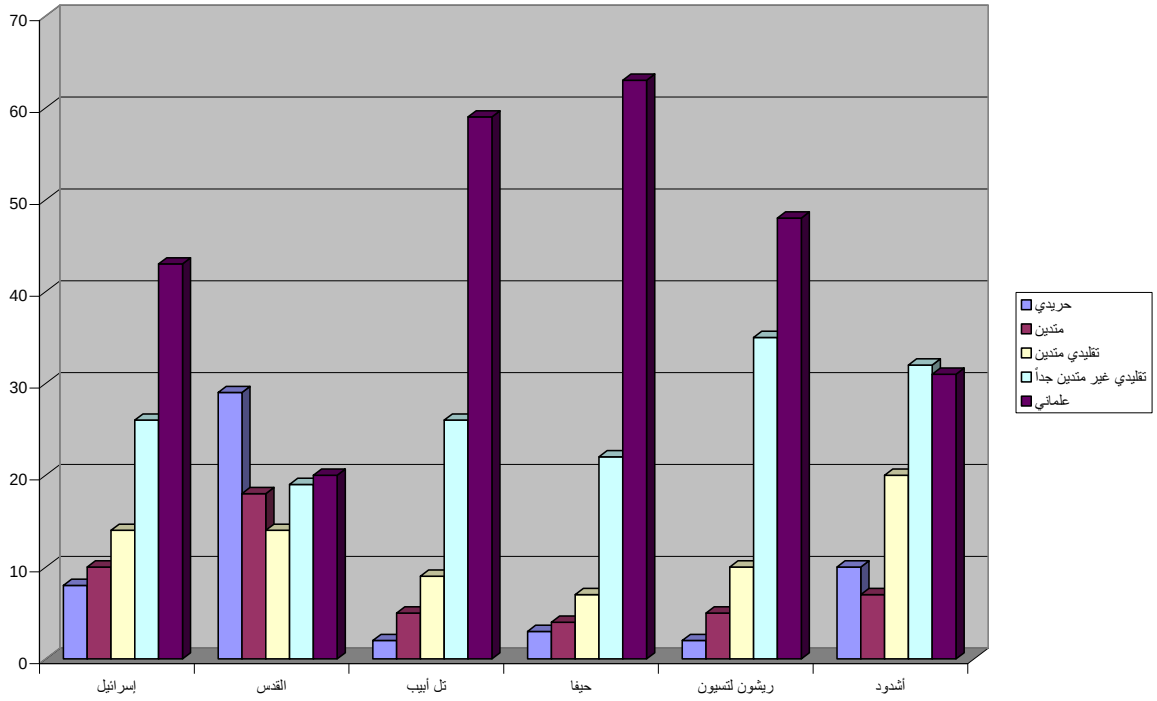

الشكل 2: نسب أنواع المتدينين وأنواع العلمانيين في إسرائيل وعدد من المدن

وهذه المعادلة تثير الدهشة في الحقيقة، حيث يصعب للوهلة الأولى التوفيق بين النظرة العلمانية إلى القدس باعتبارها طرفاً في نزاع الهوية الداخلي، وبين الإصرار العلماني على تبني القدس عاصمةً موحدة وأبدية، والإصرار على بقاء المدينة كاملةً تحت السيادة اليهودية بغض النظر عن التطورات السياسية المختلفة التي قد يرى البعض أنها يمكن أن تؤدي إلى تغيير النظرة الإسرائيلية العلمانية إلى طبيعة القدس ودورها. وهذا يفتح المجال واسعاً للبحث في نوعية وكيفية النظرة الإسرائيلية إلى دور مدينة القدس في الدولة لاسيما ضمن الدوائر العلمانية.

إن الناظر إلى الخطاب الإسرائيلي نحو القدس يلحظ أن هناك نوعين من الخطاب: أحدهما ديني متعلق بكون المدينة "مدينة الرب" التي قدسها وأمر بتقديسها، وعاصمةً للمسيح المخلص، وعرش الله في الأرض (كما تعبر عنها التوراة) (Levine 2008: 39-44). وهذا الخطاب يظهر في العادة ضمن الدوائر الدينية المتطرفة سواء اليهودية المتدينة داخل وخارج إسرائيل، أومن يساندها في الداخل والخارج من أتباع الكنيسة الإنجيلية الصهيونية المتطرفة على سبيل المثال (يوسف حداد 2004 (1): 326-327). ويسهل هنا فهم هذا الخطاب خاصة أنه يغلب عليه الطابع الروحي عند الحديث عن المدينة، ويمكن القول إن هذا الخطاب هو الأساس الذي مهد لتكثيف الوجود اليهودي في المدينة خاصة من طرف المتدينين المتطرفين. فمن الطبيعي أن ينتقل المتدين للسكن في المدينة التي تشكل قلب خطابه وحالته الدينية الممثلة في مختلف نواحي حياته. ولعل أتباع هذا الخطاب هم في العادة الذين يشكلون أغلبية السكان اليهود في المدينة المقدسة لاسيما في الأحياء والبؤر الاستيطانية الواقعة في قلب الأحياء العربية المقدسية.

أما الخطاب الآخر فهو الخطاب الوطني التاريخي، ويلجأ إلى هذا النوع من الخطاب في العادة العلمانيون الذين يعتبرون القدس تراثاً يهودياً بالمعنى التاريخي العرقي أكثر من الديني، ولعل ديفيد بن غوريون نفسه كان أحد أهم أقطاب هذا الاتجاه، حيث أنه بالرغم من معارضته الشديدة لصبغ الدولة بالطابع الديني إلا أنه كان القائل "لا معنى لإسرائيل دون القدس، ولا معنى للقدس دون المعبد" (وفاء الزاغة 2010). وهذه المقولة ربما تمثل في شكلها الأولي صورة دينية للخطاب المتعلق بالقدس خاصة لدى ذكر المعبد اليهودي، لكن الأدبيات الإسرائيلية العلمانية (والتي تشكل غالبية الأدبيات الإسرائيلية) لا تنفك عن مديح القدس وإعطائها جواً من الروحانية المشبعة بالتاريخ والوطنية من حيث مجرد وجود اليهود التاريخي فيها دون النظر إلى ما تذكره التوراة والتلمود من وعد الله والمسيح المنتظر وغيرها من أدوات الخطاب الديني اليهودي المتعلق بالمنطقة، ولا يغيب هنا عن الذهن النشيد الوطني الإسرائيلي المسمى (هاتيكفا) أي "الأمل"، والذي تقول آخر أبياته: لنكن شعباً حراً في أرضنا.. أرضِ صهيون والقدس.[4]

هذه الذهنية المركبة لدى العموم الإسرائيلي جعلت القدس محط اتفاق كامل بين جميع التيارات الفكرية والدينية والاجتماعية الإسرائيلية بالرغم من اختلاف الدوافع والنظرة نفسها بالطبع. وهذا ما يمكن أن يجعل القدس "الرمز" الذي يجتمع عليه اليهود جميعاً إن كان ذلك من خلال النظرة الدينية للمدينة أو النظرة التاريخية العرقية.

وأمام إشكالية الهوية الإسرائيلية اليهودية الحالية، والتي تسببت فيما يبدو بأزمة القيادة في المجتمع الإسرائيلي، فإن من المنطقي القول إن الحل الأمثل لدى دوائر صنع القرار هو إعادة تشكيل الرمزية التي يجتمع عليها المجتمع الإسرائيلي واليهودي العالمي خارج الدولة، وهو القدس. مما يساهم في صياغة نوع من التوافق الضمني على استمرار قيام الدولة وعدم تهديد وجودها باعتبار أي تهديد لوجود الدولة نفسه تهديداً لرمزية القدس اليهودية التاريخية والدينية. ولذلك فمن الطبيعي أن تشهد الأعوام الخمسة الأخيرة صراعاً محموماً داخل المدينة بين السكان المقدسيين الأصليين وسلطات الاحتلال لإعادة خلق واقع جديد في المدينة تكون فيه الصبغة اليهودية هي المسيطرة والحاكمة في المدينة بلا منازع مما يضمن وحدة الدولة والمجتمع الإسرائيلي وسلامة وجوده.

وبهذا يتبين مدى أهمية الصراع على الأرض والديمغرافيا في القدس اليوم، فأزمة الهوية اليهودية تستلزم توجيه الصراع تجاه "الخطر الخارجي" المتمثل بالسكان الفلسطينيين في المدينة، وموقع المدينة في نفوس اليهود يستلزم أن تصبح المدينة لب الوحدة اليهودية التي يذوب عندها الصراع على الهوية وعلى مفهوم اليهودي واليهودية ديناً كانت أم عرقاً. ولذلك تشهد السنوات الأخيرة تحولاً جذرياً في طريقة تعامل إسرائيل مع مدينة القدس –لاسيما شطرها الشرقي الذي يمثل الثقل العربي– وحجم التهويد المطلوب في هذه المدينة بالذات.

---

[4] Israel Ministry of Foreign Affairs, Facts about Israel: The State, http://www.mfa.gov.il/MFA/Facts+About+Israel/State/The+State.htm, (accessed February 1, 2011)

EISSN: 2180-4788. Vol. 3 No. 1 (pp 111-134) DOI: 10.5895/ijwas.2011.06

مظاهر الصراع على الأرض في القدس

إن الصراع على المدينة اختلف اختلافاً جوهرياً في كيفيته وفي طريقته وأسلوبه خاصة من الطرف الإسرائيلي منذ بداية الاحتلال الأول للجزء الغربي من المدينة عام 1948م واحتلال الجزء الشرقي منها عام 1967م. وفيما بعد عام 1967م، تدل الوقائع التاريخية التي حدثت خاصة فيما يتعلق بالحدود الإدارية للمدينة حسب الرؤية الإسرائيلية تغيراً في الفترة الأخيرة تجاه الطابع الذي تريده للمدينة من محاولة ضم أكبر كمية ممكنة من الأراضي التي يسكنها العرب الفلسطينيون في المدينة إلى محاولة الابتعاد عن التجمعات العربية في المدينة واللجوء بدلاً من ذلك إلى العمق اليهودي الغربي. وهذا التحول يؤكد على أن إسرائيل خسرت الحرب الديمغرافية في المدينة ولم تتمكن من السيطرة على النمو الفلسطيني فيها كما يبين تقرير مؤسسة القدس الدولية "القدس حصاد الأربعين" (2007: 63) الذي يبين أن نسبة السكان الفلسطينيين في المدينة ارتفعت من 26% عام 1967م إلى 34% عام 2005م، وتتوقع الدوائر الإسرائيلية أن تزداد هذه النسبة بحلول عام 2020م لتصل إلى 40%، مما دق ناقوس الخطر لدى الدوائر الإسرائيلية تخوفاً من فشل المشروع الصهيوني في المدينة بالذات نظراً لازدياد معدل الخصوبة والولادات بين السكان الفلسطينيين، خاصة أن هذه الزيادة السكانية العربية كانت نتيجةً للولادات الطبيعية فقط، بينما تتحدد مكونات الزيادة السكانية اليهودية من الولادات الطبيعية إضافةً إلى الهجرة إلى المدينة.

وحتى على صعيد الهجرة اليهودية إلى المدينة، شهدت الفترة بين عامي 1980م و 2005م على سبيل المثال هجرة يهودية معاكسة من مدينة القدس، حيث تبين الإحصاءات هجرة 208000 يهودي إلى المدينة في مقابل هجرة 313000 يهودي خارجها، مما يعني أن عدد المهاجرين اليهود الذين تركوا المدينة بلغ 105000 مهاجر (مؤسسة القدس الدولية 2007: 64-65)، وهذا عدد كبير جداً ويدل على انتكاسة واضحةٍ لمشروع الهجرة اليهودية إلى القدس. وهذا ما يؤكد تخوف الساسة الإسرائيليين على الهوية اليهودية للمدينة وللمجتمع الذي يسكنها، خاصة أن أغلبية المهاجرين من المدينة يعتبرون عموماً من العلمانيين الذين يعتبرون بيئة المدينة المتدينة غير جذابة لهم، مع ملاحظة أن العمق الغربي للمدينة وللمنطقة بالكامل يزداد علمانية كلما تم الاتجاه غرباً ناحية الساحل، وبالعكس يزداد تديناً في حال الاتجاه شرقاً ناحية أراضي الضفة الغربية المحتلة، ولعل هذه الانتكاسة الديمغرافية التي ظهرت واضحة عام 2005م كانت العامل الأبرز بين عوامل الإشكاليات الإسرائيلية اليهودية الذي أجَّجَ محاولة إسرائيل السيطرة على المدينة وتهويدها بالكامل وإعادة تشكيل الهوية اليهودية الإسرائيلية وتوحيدها في القدس. ولذلك يبدو أن الدوائر السياسية الإسرائيلية رأت في ضم الأراضي إلى القدس (بدلاً من جلب المزيد من السكان) حلاً يمكن أن يكون مناسباً لإيجاد التوازن المطلوب والحفاظ على هوية المدينة اليهودية التي تريدها الدولة بدلاً من إحضار السكان إليها فقط –بعد أن أثبت مشروع الهجرة فشله في إحداث تغيير دائم في ديمغرافية المدينة كما تبين سابقاً– ويمكن دراسة ذلك من خلال متابعة تطور الحدود بلدية ومنطقة القدس حسب الرؤية الإسرائيلية.

حدود القدس المحتلة بعد عام 1967 حسب الرؤية الإسرائيلية:

في صبيحة يوم 1967/6/7م تمكنت قوات الاحتلال الإسرائيلي من السيطرة على الجزء الشرقي من مدينة القدس، وأصبحت المدينة كاملة تحت سلطة الاحتلال، وتحاول المؤسسة الإعلامية الإسرائيلية في أدبياتها تقديم هذا الاحتلال على أنه توحيد لشطري المدينة الموحدة تحت راية الدولة العبرية. وتستعمل في الإشارة إلى ذلك الحدث لفظ "توحيد القدس". وتبع هذا الاحتلال تغيير واضح في المعالم والحدود والشكل العام للمدينة، حيث اتبعت إسرائيل سلسلة من الإجراءات هدفت إلى صبغ شطري المدينة بالطابع الوحدوي اليهودي، وتكريس وحدة المدينة بشطريها تحت لواء الاحتلال. ويبدو أن ما حدث من إجراءات كان يشكل ما يمكن أن يطلق عليه "إلحاقاً" للجزء الشرقي من المدينة بشطرها الغربي إدارياً مع إبقاء البون الشاسع في الاختلاف العمراني والمدني بين الشطرين ربما لفترة معينة. وهذا بحد ذاته يدل على أن الهوية اليهودية لم تكن منقسمة على نفسها من حيث التعريف والشكل سواء كانت ديناً أم عرقاً، ويبدو أن سبب ذلك كان وجود العدو الخارجي الموحد لجميع اليهود: أي العرب والفلسطينيين بالذات، وذلك ما أجل حسم مسألة طبيعة وشكل الهوية الإسرائيلية في المدينة حتى يتم تأمين تشكيل البيئة الإسرائيلية في المدينة بشقيها الديني والعرقي. وهو على ما يظهر كان السبب الأساسي للتركيز الإسرائيلي في السنوات التي تلت احتلال شرقي المدينة على ضم أكبر عدد ممكن من المناطق الشرقية والتجمعات العربية إلى الجانب الغربي اليهودي من المدينة وتغيير الطابع الديمغرافي للقسم الشرقي من المدينة بالذات. وهو يبين عدم تخوف السلطات الإسرائيلية في ذلك الوقت من المشكلة الديمغرافية أو عدم تنبهها لها بعكس ما حدث بعد ذلك.

كان أول ما قامت به سلطات الاحتلال بعد عشرين يوماً فقط من احتلال الشطر الشرقي من مدينة القدس، أي في يوم 1967/6/27م إصدار تشريع عن الكنيست (البرلمان) الإسرائيلي يقضي بتوحيد شطري القدس تحت السيادة الإسرائيلية (برهان الدجاني 1969: 511). وتبع ذلك يوم 1967/6/29م إزالة وتدمير جميع الحواجز العسكرية التي كانت تفصل بين شطري المدينة بين عامي 1948 و 1967م في إشارة واضحة إلى توحيد المدينة، كما تم ضم أعضاء المجلس البلدي لشرقي القدس إلى عضوية المجلس البلدي الموسع للمدينة برئاسة رئيس بلدية القدس تيدي كوليك، الأمر الذي رفضه أعضاء المجلس شرقي القدس (برهان الدجاني 1969: 512). وبالتالي أصبحت حدود بلدية القدس في ذلك الوقت تشمل القسمين: الشرقي والغربي للمدينة بمساحة حوالي 43 كيلومتر مربع. وفي نفس العام، أقرت سلطات الاحتلال توسيع نطاق حدود بلدية المدينة لتشمل بعض الأحياء اليهودية القديمة شرقي القدس، والتي كانت قد تركت خلال حرب عام 1948م. وذلك بضم منطقة الجامعة العبرية وما حولها. وتم توسعة حدود بلدية المدينة وضم 58 كيلومتر مربع إضافي إليها (دون حساب حدود بلدية القدس الأردنية التي كانت تبلغ مساحتها حوالي 6 كيلومتر مربع) لتشمل جيوباً أوسع من الأراضي المزروعة تمهيداً لتكثيف الاستيطان اليهودي فيها، فتم ضم منطقة النبي يعقوب والتوسع شمالاً حتى منطقة مطار قلندية (عطاروت)، كما تم توسيع الحدود جنوباً حتى الوصول إلى منطقة جبل أبو غنيم ومنطقة قبر راحيل (رامات راحيل) على حدود بيت لحم. وأضيفت أراضي مختلفة على جانبي المدينة لتصل حدود

EISSN: 2180-4788. Vol. 3 No. 1 (pp 111-134) DOI: 10.5895/ijwas.2011.06

بلدية القدس بالكامل إلى حوالي 108 كيلومتر مربع.[5] ولكن الحدود الشرقية للمدينة لم تتوسع كثيراً في القرى العربية الشرقية حرصاً على عدم ضم الكتلة الفلسطينية القروية الكبيرة التي تقع في قريتي أبو ديس والعيزرية إلى حدود القدس لتقليل نسبة السكان الفلسطينيين داخل حدود البلدية.

ومن الجدير بالذكر أن توسعاً آخر أقر في حدود بلدية القدس المحتلة عام 1993 من الناحية الغربية وتم إدخال بعض أراضي القرى المهجرة القديمة شمالي عين كارم غربي مدينة القدس إلى حدود بلدية القدس، ويبدو أن أسباب هذا التوسيع كانت ضم كتل يهودية أكثر إلى المدينة من الناحية الغربية حيث ينعدم الوجود العربي تقريباً.[6] لتصبح حدود البلدية كاملة تغطي مساحة حوالي 126 كيلومتراً مربعاً هي حدود البلدية الرسمية حتى اليوم[7] (انظر الخريطة 1). ومن الضروري الإشارة إلى أن كامل هذه التوسعات والضم كانت تتم في أغلبها في الأراضي غير المطورة عموماً وذلك كرصيد واضح للمستوطنات اليهودية التي تنشر في المنطقة. كما أن الضم الأول لشرقي القدس عام 1967م تم للأرض لا للسكان، فاعتبرت الأرض جزءاً من دولة الاحتلال فيما اعتبار السكان "مقيمين" داخل المناطق التي ضمت لا مواطنين.

ويمكن لدى متابعة سياسة التوسع الاحتلالية في هذه المناطق خاصة في النواحي الشرقية من مدينة القدس، والتي احتلت عام 1967، فهم محددات هذا التوسع، والتي لا تخرج عن نطاق السيطرة على المزيد من الأراضي المحيطة بالجانب الشرقي من القدس بالذات، وذلك لما لهذا الجانب من أهمية استراتيجية تتعلق بكونه الأقرب إلى مناطق الضفة الغربية التي تسعى سلطات الاحتلال لعزل القدس وإبعادها عنها ما أمكن بهدف تأكيد الطابع اليهودي للدولة. ولتحليل ذلك يمكن النظر في الخريطة 2؛ حيث يظهر واضحاً أن الجزء الشرقي من مدينة القدس، والذي يشكل الرمز العرقي والديني اليهودي لما فيه من أماكن مقدسة بالذات، بعيد عموماً عن العمق الإسرائيلي الذي أعلنت فيه الدولة عام 1948. حيث تبنت الحركة الصهيونية –كما تمت الإشارة سابقاً– الاستيطان في المناطق الزراعية والخصبة التي تقع عموماً في السهل الداخلي والسهل الساحلي الفلسطيني، مما جعل القدس تتركز في المحيط الفلسطيني في الضفة الغربية بالذات، وكان ذلك مفهوماً حتى في خطة تقسيم عام 1947م (انظر الخريطة 3). وبالتالي فإن دولة الاحتلال حاولت في كل مرحلة من مراحل التوسيع ضم الجانب الشرقي من المدينة ذي المكانة الدينية والروحية إلى العمق اليهودي الذي يتركز في الجهة الغربية، ولذلك سعت الدولة إلى عزل المدينة عن محيطها العربي المتركز في الجانب الشرقي، وإحاطة المدينة بالمستوطنات اليهودية التي تشكل كتلة حاضنةً لهذا الجانب المهم من المدينة. وهو ما أكدته خطة القدس الكبرى أو القدس المتروبوليتانية التي أقرت بتاريخ 1998/6/28م[8] والتي تعني زيادة مساحة حدود المدينة إلى أقصى اتساع

---

5 انظر The Jerusalem Institute for Israel Studies, "The Municipal Area of Jerusalem 1952-1993", http://jiis.org/.upload/yearbook/2007_8/shnaton%20a0104.pdf, (accessed May 21, 2010)
وكذلك انظر Israel Ministry of Foreign Affairs, "Jerusalem: The City's Development from a Historical Viewpoint," http://www.mfa.gov.il/MFA/MFAArchive/1990_1999/1998/7/Jerusalem-%20The%20City-s%20Development%20from%20a%20Historica, (accessed May 18, 2010)

6 انظر Jewish Virtual Library, "Affinities Toward Jerusalem," http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/History/meijer.html, (accessed May 18, 2010)

7 انظر The Central Bureau of Statistics (Israel), Press Release no. 106/2006, "Jerusalem Day", May 24 2006

8 انظر مركز القدس للحقوق الاجتماعية والاقتصادية، "مصادرة الأراضي والاستيطان،"، http://www.jcser.org/arabic/index.php?option=com_content&view=article&id=6&Itemid=9, (accessed May 19, 2010)

ممكن يمكن معه توفير أراضٍ شاسعة تكون ملاذاً للسكان وبعيداً عن مركز المدينة الديني وفي نفس الوقت محيطةً به وحافظةً له (انظر نافذ أبو حسنة: 2010).

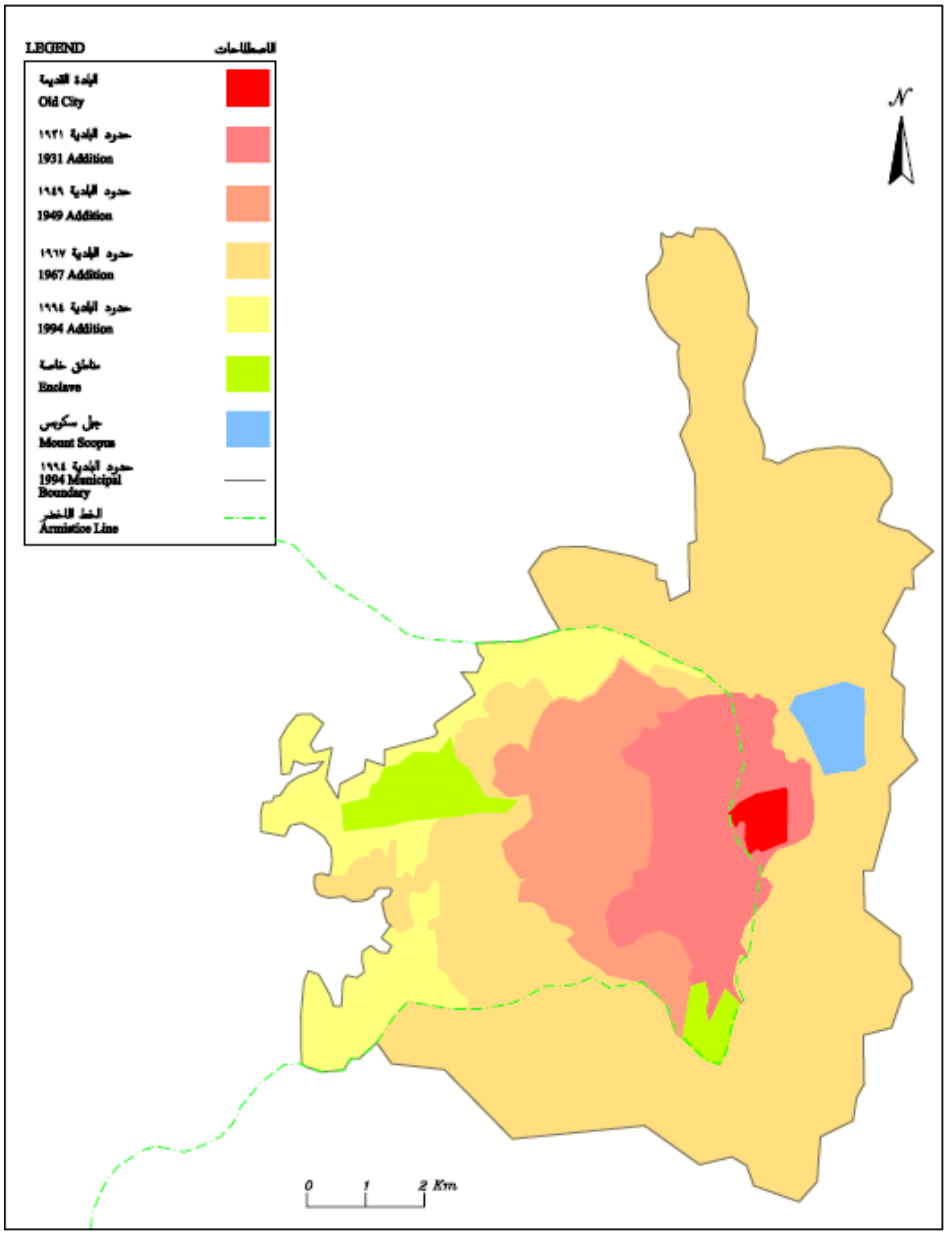

الخريطة 1: تغييرات حدود بلدية القدس منذ عام 1947 حتى اليوم (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني 2009: 53)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن النسبة الأكبر من المستوطنين اليهود الذين قدموا إلى المدينة وسكنوها كانت من المتدينين عموماً، حتى غدت القدس تحتوي على أكبر تجمع لليهود المتدينين في إسرائيل على الإطلاق. وهي بهذا تواجه مدينة تل أبيب

EISSN: 2180-4788. Vol. 3 No. 1 (pp 111-134) DOI: 10.5895/ijwas.2011.06

التي يمكن اعتبارها عاصمة العلمانية في إسرائيل كما ذكر سابقاً. ويبدو أن الدوائر الإسرائيلية المعنية لم تكن تعير هذا الأمر كثير انتباه في بداية الاحتلال باعتبار أن معركتها الأساسية كانت مع الجانب العربي المقيم في المدينة (وما زالت إلى حد كبير)، ولكن الانقسام وأزمة الهوية الإسرائيلية اليهودية –التي بدأت بالظهور شيئاً فشيئاً كنتيجة طبيعية لسنوات الراحة الإسرائيلية مع جيرانها من الدول العربية التي أعقبت حرب عام 1973م– ألقى بظلاله الكبيرة على طبيعة المشروع، لتتم إضافته إلى مشكلة الوجود العربي في المدينة الذي ازدادت نسبته في المدينة بدلاً من أن تقل.

هذا لا يعني بالضرورة وجود حرب معلنة بين اليهود المتدينين والعلمانيين على السيطرة على القدس، وإنما يعبر أساساً عن وجود مشكلة وأزمة هوية إسرائيلية لا تعرف جامعاً إلا القدس نفسها في نفس الوقت الذي تختلف فيه رؤية كل طرف إلى المدينة، ويبدو أن الطرف المتدين كان أكثر توفيقاً في إدارة هذه المعركة من ناحيته ربما بسبب روح الانتماء الكبيرة بين أفراده نظراً لاعتماده على الجانب الديني والروحي في جذب أتباعه وتحريكهم. أما الجانب العلماني فقد وجد في التاريخ ضالته من حيث العلاقة مع المدينة، ولذلك سعى دائماً لتأكيد وجوده فيها، إلا أن هذا الطيف لا يعتمد الروحانيات عموماً وإنما يميل إلى القوة المادية (وهذا سر تركزه في الساحل الفلسطيني)، ولذلك يمكن ملاحظة عدم وجود أغلبية علمانية في الجانب الشرقي من المدينة بل في الجانب الغربي.

وربما يكون هذا هو سبب عمل الدوائر الرسمية الإسرائيلية التي يسيطر عليها الجانب العلماني على تعميق ارتباط المدينة المقدسة بجانبها الغربي أكثر من الجانب الشرقي ضمن خطة إنشاء مقاطعة القدس التي طبقت مؤخراً وتحوي أراضي في عمق الجانب الغربي كثيراً. ويبدي ذلك في نفس الوقت التخوف الشديد في الفترة الأخيرة خاصة بعيد بداية انتفاضة الأقصى عام 2000م من ازدياد عدد السكان العرب ونسبتهم في المدينة مقابل الوجود اليهودي بشكل عام، مما جعل الدوائر السياسية الإسرائيلية تهتم كثيراً بزيادة الوجود اليهودي في المدينة وفي نفس الوقت توازن الوجود العلماني والمتدين في المدينة عبر التوسع غرباً بقدر الإمكان مع عدم إغفال التوسع الشرقي في حدود المستوطنات الشرقية نفسها لا في حدود التجمعات القروية العربية شرقي المدينة.

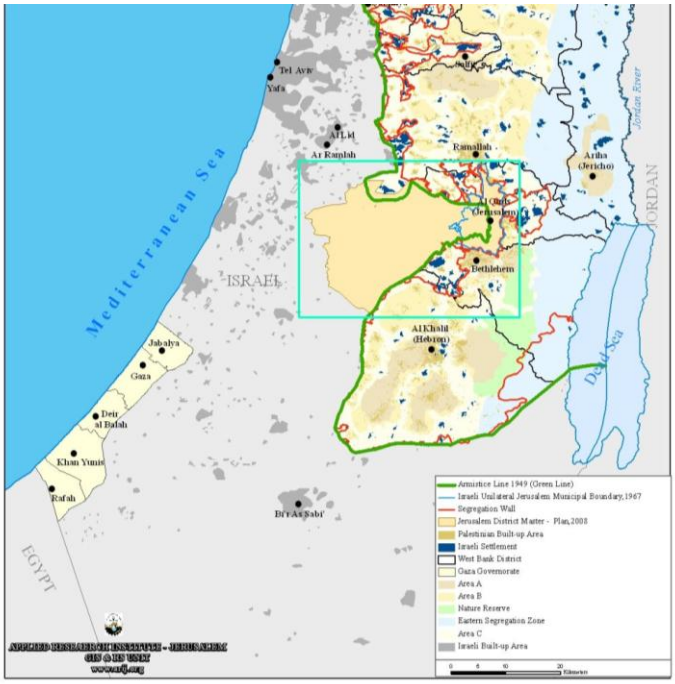

الخريطة 2: موقع مدينة القدس بالنسبة للضفة الغربية والأراضي المحتلة عام 1948 المنطقة البنية في وسط المستطيل هي حدود مقاطعة القدس داخل الخط الأخضر[9]

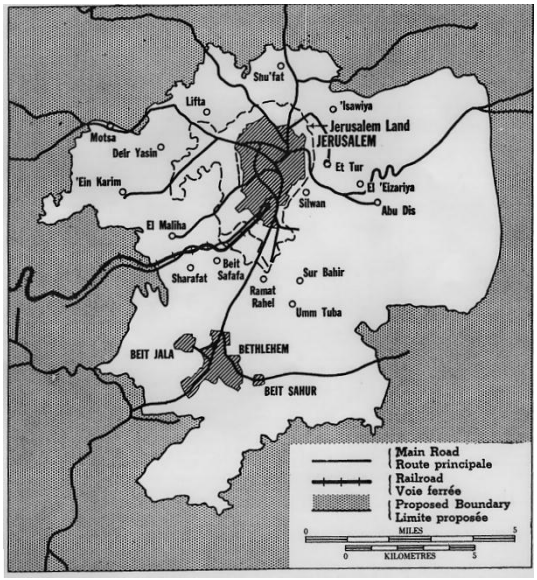

الخريطة 3 : منطقة القدس الدولية في خطة تقسيم عام 1947[10]

[9] المصدر: The Applied Research Institute-Jerusalem

[10] المصدر: Jerusalem in the 1947 plan (Jerusalem Fall 2009), http://sites.google.com/a/ithaca.edu/jerusalem-fall-2009/Home/maps-of-modern-jerusalem/jerusalem-in-the-1947-partition-plan, (accessed May 19, 2010)

EISSN: 2180-4788. Vol. 3 No. 1 (pp 111-134) DOI: 10.5895/ijwas.2011.06

علاوةً على تحديد حدود البلدية الإسرائيلية التي تمثل مدينة القدس حسب الرؤية الإسرائيلية والطموح لتوسعة حدود البلدية نفسها، فإن المفهوم الأوسع إدارياً لكل ما يتبع القدس في الرؤية الإسرائيلية يشمل –إضافة إلى الحدود البلدية وحدود القدس الكبرى المستقبلية– ما تطلق عليه מחוז–District (أي مقاطعة) القدس، وهو مفهوم مختلف عن حدود بلدية القدس الإسرائيلية ويشبه إلى حد كبير مفهوم "المحافظة" التي تنتمي إليها المدن والقرى المختلفة، ويستعمل لغايات الإحصاء السكاني أساساً، وهذا المفهوم أكبر من مفهوم بلدية مدينة القدس، ويشمل حدوداً أكبر بكثير تمتد ناحية الغرب كما ذكر آنفاً. وهذه الحدود حسب المفهوم الإسرائيلي المعمول به رسمياً في الوقت الحالي تمتد غرباً إلى داخل العمق الفلسطيني المحتل عام 1948م بمساحة 653 كيلومتر مربع (The Central Bureau of Statistics 2009: 63)، وتشمل الحدود كامل مساحة بلدية القدس بما فيها الجزء الشرقي الذي احتل عام 1967م إضافة إلى مساحة كبرى في العمق الغربي باتجاه الساحل. ويبدو أن المقصود من هذا التوسع الغربي توسعة حجم الوجود اليهودي المنتمي إلى القدس (انظر الخريطة 4) أولاً، وكذلك زيادة الوجود اليهودي العلماني في المدينة ثانياً.

ومن خلال النظر في معطيات الرؤية الإسرائيلية المتعلقة بمقاطعة القدس يتبين عمق الأزمة اليهودية التي أدت إلى لأخذ بهذا التوجه، ذلك أن إسرائيل فشلت في تحييد الوجود العربي في شرقي المدينة، كما فشلت بامتياز في إحداث تغيير دائمٍ في الطابع الديمغرافي والتاريخي للمدينة وإنما كان هذا التغيير مرحلياً ومؤقتاً، خاصة وأن الشخصية اليهودية التي طمح قادة الاحتلال إلى إضفائها على القدس لم تكن بالشكل الذي يمكن أن يقدم كنموذج تاريخي، حيث أن الوجود الديني اليهودي في المدينة أعمق بكثير من الوجود الإسرائيلي الوطني، أي أنه يمكن القول إن إسرائيل عندما احتلت القدس صنعت طابعاً "يهودياً" دينياً للمدينة لا طابعاً "إسرائيلياً"، وهذا يعني أنها فشلت إلى حد كبير في إعطاء المدينة المقدسة صورة عاصمة إسرائيل، لاسيما وأن النسبة الأكبر من اليهود المتدينين الذين يسكنون المدينة لا يخدمون في الأجهزة الأمنية ولا الجيش الإسرائيلي (مؤسسة القدس الدولية 2007: 66)، وهذا يعني بالضرورة أن هؤلاء لا يمثلون "إسرائيل" الدولة، وإنما يمثلون "الدين اليهودي" الذي تثير العديد من تعاليمه جدلاً واسعاً لدى الجمهور الإسرائيلي. ويمكن ملاحظة ذلك عند مقارنة الحياة في القدس بالحياة في أي مدينة ساحلية مثل تل أبيب أو حيفا على سبيل المثال، وهنا يظهر فرق هائل بين الحياة اليهودية في مدينة القدس من جهة، والتي تتسم بالمحافظة عموماً والتشدد في اتباع تعاليم الدين اليهودي خاصة أيام السبت، وأي مدينة في الساحل من جهة أخرى، والتي تتسم بشيوع الثقافة الغربية المتعلقة بطريقة اللباس والتعامل وغيرها. ويكفي لتوضيح ذلك كمثال الإشارة إلى الفرق الواضح في التعامل مع قضية الشواذ المرفوضين تماماً في القدس، والمقبولين اجتماعياً بكل أريحية في مدن مثل تل أبيت على ساحل البحر الأبيض المتوسط وإيلات على ساحل البحر الأحمر (Mcgirk 2006).

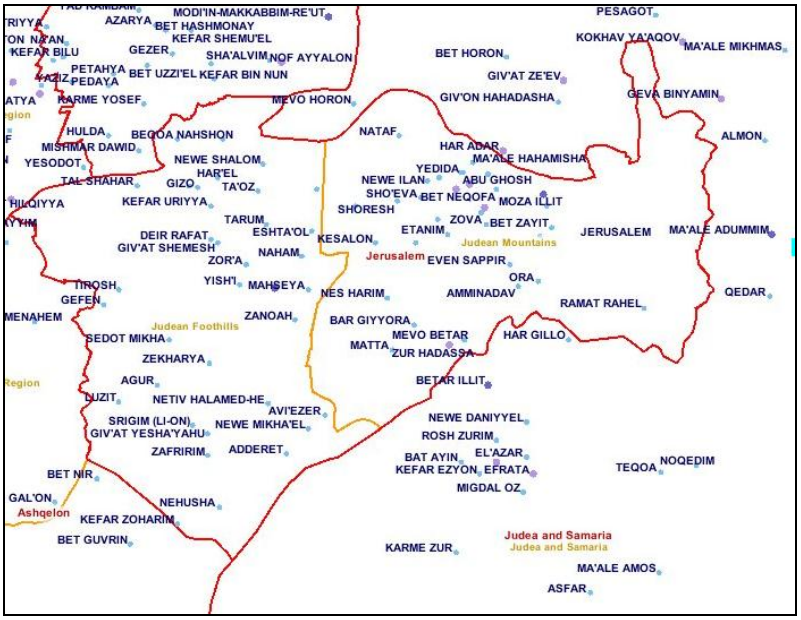

الخريطة 4: حدود مقاطعة القدس حسب الرؤية الإسرائيلية[11]

هذا يبين أن أزمة الهوية الإسرائيلية اليهودية تضافرت مع الفشل الديمغرافي الإسرائيلي في القدس لتخلق حاجة إسرائيلية ملحة لإثبات "إسرائيلية" القدس في وجه التيار الديني اليهودي تماماً كإثبات "يهوديتها" في وجه الوجود العربي الفلسطيني فيها. وذلك على أمل توحيد الوجهتين: الدينية الملتزمة والوطنية العلمانية في وجه العدو الخارجي، أي فلسطينيي القدس، وخلق مدينة توحد اليهود في داخل الدولة وتوجد نوعاً من التناغم بين التيار الديني والتيار العلماني في رؤيته للمدينة، وهو ما أدى إن التوجه نحو التوسع غرباً.

وفي هذا الصدد، تبرز إجراءات الاحتلال للسيطرة على أكبر قطاع من مدينة القدس عبر الاستيطان والجدار العازل ومحاربة الوجود العربي في المدينة في مقابل تدعيم الوجود اليهودي، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا يتمثل في كيفية تعامل القيادة الفلسطينية الرسمية الممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية الفلسطينية مع القضية وما إذا كانت هذه الدوائر متنبهةً للأزمة التي يعيشها المجتمع الإسرائيلي وكيفية تعامله مع قضية القدس في الوقت الحاضر أم لا.

[11] المصدر: The Central Bureau of Statistics (Israel), Statistical Abstract of Israel 60-2009, http://gis.cbs.gov.il/website/shnaton60_eng/viewer.htm, (accessed May 19.2010)

EISSN: 2180-4788. Vol. 3 No. 1 (pp 111-134) DOI: 10.5895/ijwas.2011.06

حدود القدس المحتلة بعد عام 1967 حسب رؤية منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية:

أنشئت منظمة التحرير الفلسطينية كما هو معلوم عام 1964م وتم الاعتراف بها من قبل النظام الرسمي العربي ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني، وبعد توقيع المنظمة على اتفاقية أوسلو عام 1993م، انبثقت عنها السلطة الوطنية الفلسطينية التي تولت إدارة المناطق الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة. إلا أن القدس استثنيت من هذه الاتفاقية بعد الإصرار الإسرائيلي على اعتبارها العاصمة الموحدة لدولة الاحتلال، وتم تأجيل بحث قضية القدس إلى مفاوضات الحل الدائم التي لم تكتمل حتى تاريخ كتابة هذه السطور.

ومن الملاحظ أن للسلطة الوطنية الفلسطينية رؤيتها الخاصة فيما يتعلق بمفهوم "مدينة القدس" وحدود هذه المدينة، والتي تختلف عن كلا الرؤيتين: الرؤية الإسرائيلية ورؤية حركات المقاومة الفلسطينية الأخرى لاسيما الإسلامية منها. حيث تتبنى السلطة الفلسطينية –عند تناول المدينة بالذات– بشكل واضح الحدود الشرقية لمدينة القدس باعتبارها القدس الفلسطينية دون النظر إلى الجانب الغربي من المدينة الذي احتل عام 1948م. وذلك بالرغم من أن الموقف الفلسطيني الذي أعلنته منظمة التحرير الفلسطينية يقضي بأنه " بالتوافق مع القانون الدولي وكما ينص إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية، تخضع القدس كلها (وليس فقط القدس الشرقية) لمفاوضات الوضع الدائم".[12] إلا أن أدبيات السلطة الوطنية الفلسطينية حددت في رؤيتها لمفهوم الصراع على القسم الشرقي من مدينة القدس حدود المنطقة التي تحمل مفهوم "القدس"، ويظهر أن المدينة نفسها لا تزيد حسب رؤية السلطة الوطنية الفلسطينية عن الحدود البلدية لأمانة القدس الأردنية بين عامي 1948-1967م. حيث يبدو من الخريطة التي نشرها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني في كتاب القدس الإحصائي السنوي عام 2009 لحدود أراضي التجمعات أن تجمع "القدس" أو ما يطلق عليه في الكتاب "بيت المقدس" لا يختلف كثيراً عن الحدود التي أقرتها السلطات الأردنية للمدينة عام 1948م (انظر الخريطة 5).

وفي إطار المعركة على السيطرة على الأرض وتثبيت هوية فلسطينية لها، عملت السلطة الوطنية الفلسطينية على إنشاء مفهوم محافظة القدس الفلسطينية التي تحتلها دولة الاحتلال وتتم المناداة بها في المحافل الدولية والإعلام. وهذه المحافظة تختلف في حدودها كثيراً عن المدينة نفسها، حيث تمتد على مساحة أكبر تصل إلى 345 كيلومتر مربع (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني 2009: 99) ممتدةً باتجاه الشرق حتى الوصول إلى البحر الميت، وتتفق نهايتها الشمالية مع حدود بلدية القدس الإسرائيلية، كما تتفق نهاية حدودها الجنوبية مع حدود بلدية القدس الإسرائيلية، ولكنها تمتد أكثر باتجاه الناحية الشمالية الغربية لتصل إلى قرية بيت عنان وقطنة (انظر الخريطة 6).

[12] ،http://www.nad-plo.org/ar/inner.php?view=nego_permanent_jerusalem_sum, (accessed May 19, 2010)

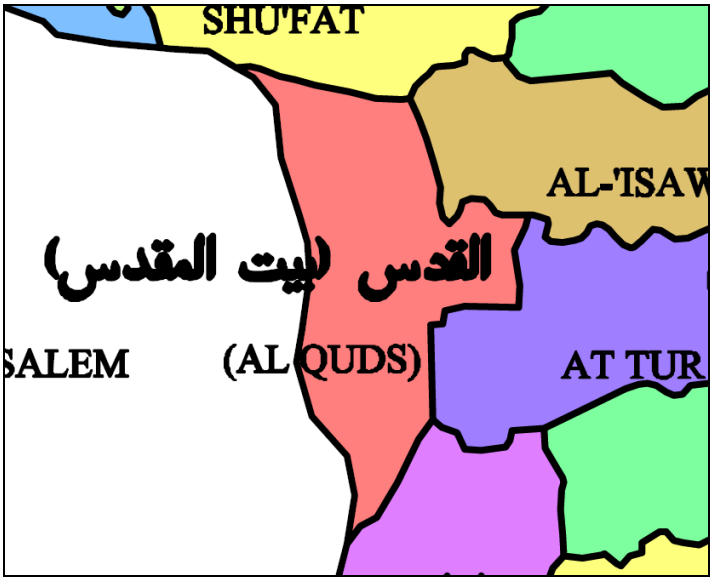

الخريطة 5: حدود تجمع القدس (بيت المقدس) البلدي حسب رؤية السلطة الوطنية الفلسطينية (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني 2009: 99)

ومع أن تحديد حدود محافظة القدس بشكلها الذي تتبناه السلطة الوطنية الفلسطينية يعد مشروعاً طموحاً إلا أنه لابد من الإشارة إلى أنه يفتقر إلى العملية في التطبيق على أرض الواقع، فأغلب الأراضي التي رسمتها السلطة الوطنية الفلسطيني لحدود محافظة القدس تنقسم بشكل واضح إلى عدة كانتونات بسبب سياسة التوسع الاستيطاني الذي تتبعه سلطات الاحتلال في هذه المناطق. وقد أغفل هذا المخطط العجز الفلسطيني عن فرض السيطرة الفعلية على هذه المناطق كلها —وليس ما يقع داخل حدود بلدية القدس الإسرائيلية من الناحية الشرقية فقط – وذلك بسبب وجود تجمعات استيطانية يهودية خارج حدود بلدية القدس الإسرائيلية تعتبرها سلطات الاحتلال جزءاً لا يتجزأ من المناطق التابعة مباشرة لإسرائيل.

EISSN: 2180-4788. Vol. 3 No. 1 (pp 111-134) DOI: 10.5895/ijwas.2011.06

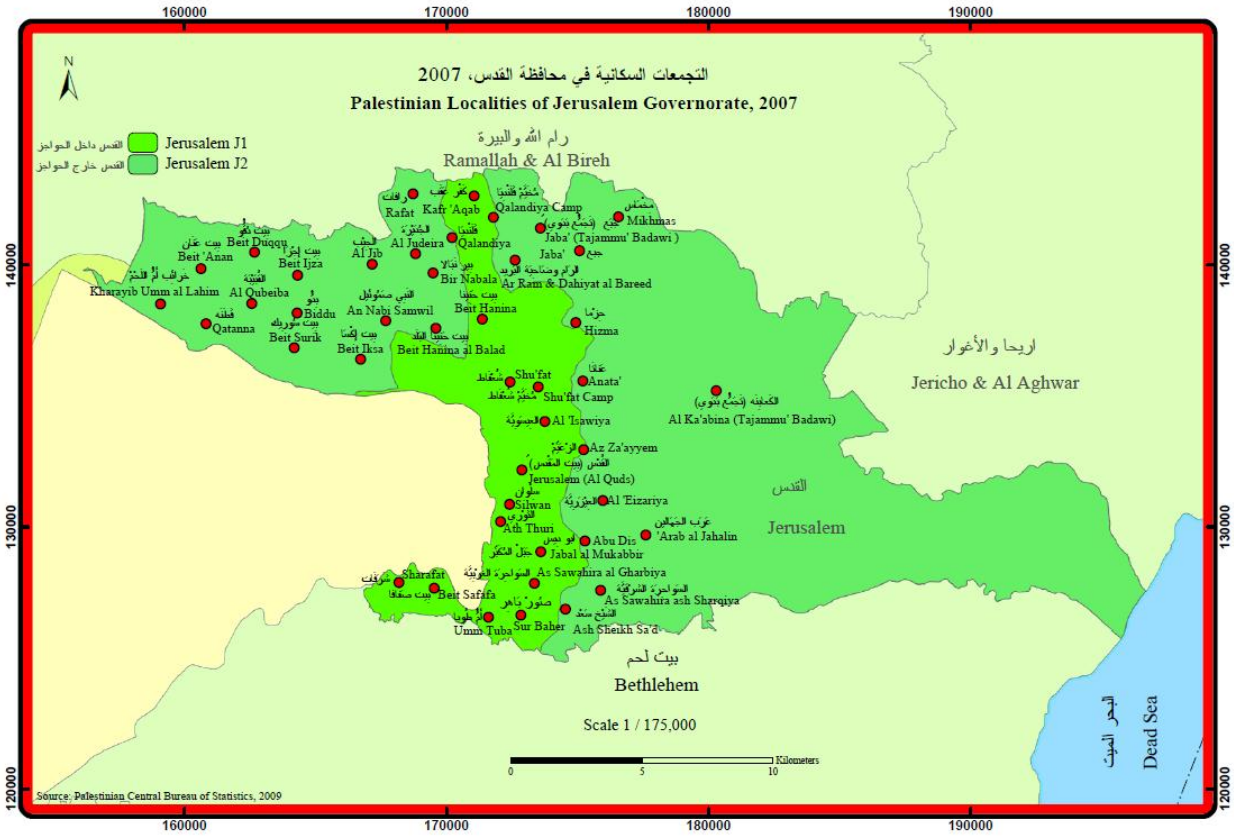

الخريطة 6: حدود محافظة القدس الفلسطينية مقارنة مع حدود بلدية القدس الإسرائيلية في الجزء الشرقي من القدس (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني 2009: 5)

مقارنة بين "محافظة القدس" الفلسطينية و"مقاطعة القدس" الإسرائيلية:

يبدو أن كلاً من السلطة الوطنية الفلسطينية وإسرائيل تحملان مفهوماً مختلفاً حول حدود المحافظة أو المقاطعة التي تقع تحت سيادتها. ففيما تحدد السلطة الوطنية الفلسطينية حدود محافظة القدس ممتدة ناحية الشرق، تتبنى دولة الاحتلال مفهوماً مختلفاً لحدود مقاطعة القدس يعتمد على العمق الغربي كما ظهر سابقاً. وتتقاطع حدود هذه المقاطعة مع حدود محافظة القدس الفلسطينية في الجزء التابع لبلدية القدس الإسرائيلية من شرقي القدس بالذات.

إذن فيبدو واضحاً من خلال هذه المعطيات والوقائع أن المفاوض الفلسطيني يتعامل مع قضية القدس من منطلق السيادة الفلسطينية على الجانب الشرقي من حدود كل من بلدية ومقاطعة القدس الإسرائيلية فقط دون اعتبار حقيقي وواقعي للجانب الغربي من المدينة بالذات. حيث يستثني مفهوم محافظة القدس كامل الجزء الغربي من المدينة، أما المفهوم الإسرائيلي لمقاطعة القدس فلا يستثني الجانب الشرقي من المدينة بل يعتبره جزءاً طبيعياً من المقاطعة كاملةً (لا الحدود البلدية فحسب). وهو ما يعقد إمكانية

تطبيق الأفكار التي تطرحها السلطة الفلسطينية في مقابل الواقع الإداري المفروض من قبل الاحتلال. وهو يعني بالضرورة إعطاء إسرائيل الفرصة للنجاح في تثبيت رؤيتها الخاصة بالمدينة، ويغفل الطرح الفلسطيني الرسمي هنا المعادلة الجدلية المتعلقة بالهوية الإسرائيلية، والتي أملت بدورها الحاجة الإسرائيلية لضم المزيد من الأراضي وتغيير الطابع الديمغرافي للمدينة بشقيها خاصة فيما يتعلق بالتوسع غرباً في حدود المقاطعة، وهذا يعتبر خطأً استراتيجياً من جانب السلطة الفلسطينية كونه لا يستغل الثغرات التي أدت إلى ازدياد الحاجة الإسرائيلية لتثبيت الوقائع على الأرض وضم المزيد من أراضي القدس إليها على الجانبين: الشرقي والغربي.

الجدول 3: تغيرات مساحة بلدية القدس منذ نهاية الانتداب البريطاني حتى اليوم

العام	مساحة بلدية القدس كم^2		الفترة الزمنية
1947م	أقل من 40		نهاية فترة الانتداب البريطاني
1948م – 1967م	43	37	الشطر الغربي – إسرائيل
		6	الشطر الشرقي – الأردن
1967م – 1993م	101		حدود بلدية القدس الإسرائيلية
1993م - اليوم	126		حدود بلدية القدس الإسرائيلية

مستقبل الصراع على القدس في ضوء الأزمة:

إن المفهوم الإسرائيلي لمقاطعة القدس وبلدية القدس ليس مفهوماً نهائياً، حيث تبين الوقائع على الأرض أن سلطات الاحتلال تعمل باستمرار على التوسع شرقاً ضمن المستوطنات القائمة فعلياً شرقي المدينة مثل معاليه أدوميم وضمها للجانب اليهودي الغربي من المدينة الذي تمت توسعته بالفعل أيضاً، وذلك لمحاولة فصل المناطق التي تتبعها إدارياً من شرقي القدس عن محيطها في الضفة الغربية وتوجيهها غرباً باتجاه المناطق اليهودية غربي القدس.

وفي دراسة مستقبل الصراع على الأرض في القدس من خلال دراسة وتحليل المعطيات والإحصاءات التي توردها الدوائر الإعلامية والسياسية، فإن هناك مبرراً قوياً للاعتقاد بأن الاحتلال سيحاول خلال السنوات القادمة الممتدة حتى عام 2022م التركيز على محاولة إنهاء الصراع على الأرض في مدينة القدس من خلال خلق واقع جديد بدأت معالمه تظهر واضحةً، بحيث يحدث انقلاب ديمغرافي وجيوسياسي هائل في المدينة وما حولها من خلال إعادة تشكيل المنطقة المحيطة بالقدس بالكامل، وتغيير

EISSN: 2180-4788. Vol. 3 No. 1 (pp 111-134) DOI: 10.5895/ijwas.2011.06

توازناتها وحقائقها الاستراتيجية، وهذا يشمل تغيير معادلة العمق الفلسطيني المحيط بالمدينة من نواحيها المختلفة، والتي كانت تحكم الصراع على الأرض في هذه المنطقة منذ احتلال شطري المدينة عامي 1948م و 1967م. وفرض معادلة جديدة على الأرض تتأسس على بنية جديدة يكون فيها المكون اليهودي هو الأساس في تحديد هوية العمق الاستراتيجي للمدينة المقدسة. وفي حال نجاح هذه المشاريع، فإن المحيط الذي يلف المدينة المقدسة وخاصة مناطقها التاريخية والدينية المقدسة سيكون محيطاً يهودياً مترابطاً بالكامل، وسيتم بناء على هذه الخطط خلق حالة جديدة هي الأولى من نوعها في تاريخ المدينة المقدسة من ذوبان الفروق بين شرق وغرب المدينة لصالح العنصر اليهودي الذي سيكون الغالب في الجهتين، مما سيخلق حالة تصبح فيها عروبة المدينة المقدسة (وخاصة البلدة المسورة التاريخية) مجرد استثناءٍ وسط محيط يهودي كبير يلفها من كافة الجهات.

كما يترافق ذلك مع محاولة إحداث توازن ديمغرافي بين المكونين الرئيسيين للمجتمع الإسرائيلي في المدينة: العلماني والديني، لتذويب الفروق بينهما في مدينة واحدة تكون مركزةً دينياً وعرقياً بحيث يتحقق مفهوم تهويد الأسرلة أو أسرلة اليهودية، وهذا قد يساهم في حل أزمة الهوية التي تتهدد الكيان الإسرائيلي بأجمعه، حيث يمكن أن تصبح القدس محايدةً في الصراع على الهوية بين الطرفين بدلاً من كونها طرفاً في الصراع، وتكون بذلك عاصمةً دينية ووطنية في نفس الوقت لدولة إسرائيل، مما سيعقد حياة الفلسطينيين فيها ابتداءً ويحد من إمكانية اختراق المدينة وإعادتها لمحيطها الفلسطيني الطبيعي. ويخشى أن يكون ذلك مقدمةً لفرض الحل الإسرائيلي ضمن أي مفاوضات قادمة فيما يتعلق بالقدس بما يضمن بقاء كافة الأجزاء المحتلة من المدينة المقدسة — غربها وشرقها– تحت السيادة الإسرائيلية الكاملة وضمن الصبغة اليهودية التي تعني انتهاء إمكانية المطالبة بأي حقوق في المدينة المقدسة، وهذا سينعكس بدوره على السكان الفلسطينيين الذين سيتم خفض نسبتهم إلى ما يقارب 12% حسب المعطيات التي تطرحها بلدية القدس الإسرائيلية، وهذا يعني انعدام المحيط السكاني الفلسطيني الذي كان دائماً الركيزة الأساسية في حماية قضية القدس والدفاع عن مقدساتها بالذات، وذلك سيفتح الباب واسعاً لاستفراد المؤسسة الاحتلالية الإسرائيلية بسكان القدس الفلسطينيين من جهة، وبمقدسات المدينة وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك من جهة أخرى.

وهنا ينبغي التأكيد على أن تنسيق الجهود العربية والإسلامي يمنح هذه القضية عمقاً سياسياً وسكانياً أوسع من العمق الفلسطيني المحيط بالمدينة المقدسة في الضفة الغربية فقط. بل يمكن أن يشمل هذا التحرك العالمين العربي والإسلامي بشكل عام، وأن يتم العمل على مسارين متلازمين يشملان الضغط على دولة الاحتلال في المحافل الدولية من أجل إيقاف مخططاتها وعمليات صناعة الواقع الجديد على الأرض من جهة، وزيادة الدعم المادي والمعنوي لسكان المدينة والمحيطين بها من جهة أخرى لتحفيزهم على إعاقة التقدم في تنفيذ هذه المخططات على الأرض.

ويأتي ذلك من خلال عدة خطوات، منها دعم المقدسيين مادياً للحصول على رخص البناء التي يقف العائق المادي سداً منيعاً في وجه الحصول عليها ابتداءً، وتلبية احتياجات السكان من الوحدات السكنية بالبناء في المدينة. إضافةً إلى ذلك، يجب دعم المقدسيين في سعيهم القانوني لإعاقة تقدم الخطوات الإسرائيلية على الأرض من خلال تقديم الدعم لهم للجوء إلى القضاء سواء كان ذلك على المستوى الداخلي أو الدولي لإعاقة عمليات المصادرة والبناء والاستيطان الإسرائيلية واستغلال الثغرات

القانونية التي يسمح بها القانون المعمول به في الأراضي المحتلة لتكثيف عمليات استصدار قرارات الامتناع عن هدم المنازل والاعتراضات على المخططات الهندسية والبلدية والاستيطانية الإسرائيلية. وأما فيما يتعلق بالدعم المعنوي، فمن الواجب على العالم العربي والعالم الإسلامي تسليط الضوء إعلامياً على معاناة المقدسيين وفضح السياسات التهويدية في القدس وإبراز الواقع الحقيقي في المدينة والذي تسعى سلطات الاحتلال جاهدةً لإخفائه، وذلك من أجل الحصول على دعم القوى الشعبية العالمية المؤثرة في صناعة القرار في دولها.

إن الجهد الصهيوني لأجل حسم الصراع في قضية الأرض لم يكن وليد اللحظة، وإنما كان نتاج تخطيط مستمر ونتاج سياسة النفس الطويل، وعلى العالم العربي والإسلامي أن يعي تماماً أهمية هذه القضية باعتبارها محور القضية الفلسطينية بشكل عام لا محور قضية القدس فقط، فالقضية الفلسطينية بأجمعها قامت على مبدأ انتزاع الأرض من أصحابها الأصليين وتسليمها للاحتلال، ولذلك يجب أن يكون العمل للفوز بعنصر الأرض في الصراع على نفس مستوى أهمية هذا العنصر نفسه في حسم نتيجة الصراع برمته.

خاتمة:

في خضم أزمة الهوية الحقيقية التي تعيشها إسرائيل في هذه الفترة والمتمثلة في الصراع بين الدوائر الدينية والدوائر العلمانية فيها، والذي تمتد آثاره إلى عمق كبير في السياسة والمجتمع الإسرائيلي المنقسم على نفسه كما يبدو واضحاً من نتائج الانتخابات البرلمانية فيه ومن التقسيم الشرائحي لأطيافه، يشكل هذا الصراع على الهوية اليهودية والإسرائيلية خطراً على إمكانية استمرار دولة إسرائيل في الوجود، مما أدى إلى بروز أهمية كبرى للتركيز على الخطاب الجامع للمجتمع الإسرائيلي الذي تمثله القدس برمزيتها التاريخية والدينية، مما أظهر لدى إسرائيل الحاجة الملحة للعمل على تعميق الهوية اليهودية في المدينة وإحداث توازن دقيق بين مكونات المجتمع الإسرائيلي في المدينة من العلمانيين والمتدينين. خاصة مع فشل إسرائيل في حربها الديمغرافية ضد الفلسطينيين في القدس مع ارتفاع نسبة السكان العرب مقارنة باليهود في المدينة، وازدياد نسبة الهجرة اليهودية المعاكسة خارج المدينة، وأغلبها من العلمانيين. وكان الحل الأمثل في نظر الدوائر السياسية الإسرائيلية تعميق الارتباط الإداري للمدينة المقدسة بالعمق اليهودي الغربي، وضم المزيد من الأراضي في الجانب الغربي العلماني إلى حدود المدينة وما يتبعها من مناطق لإحداث انقلاب ديمغرافي في المدينة لصالح اليهود في مقابل العرب، وفي نفس الوقت إحداث توازن بين المتدينين والعلمانيين في المدينة بما يضمن استمرارية رمزية القدس ووحدة المجتمع الصهيوني حولها.

وفي هذا السياق يبرز الغياب الواضح لفهم هذه المعادلة عن الدوائر السياسية الفلسطينية، والذي يتمثل في إغفال الانقسام الإسرائيلي وعدم استغلاله لإضعاف البنية اليهودية في المدينة في مقابل تقوية النسيج العربي الفلسطيني الموحد، والتركيز بدلاً من ذلك على الجهة الشرقية من المدينة وما حولها دون الإشارة أو النظر إلى الجانب الغربي الذي يحقق لإسرائيل إمكانية الفوز في هذه

EISSN: 2180-4788. Vol. 3 No. 1 (pp 111-134) DOI: 10.5895/ijwas.2011.06

المعركة وتركيز الوجود اليهودي في المدينة في مقابل الوجود العربي. إن استغلال نقاط الضعف في المشروع الاستيطاني الإسرائيلي في مدينة القدس يمكن أن يقلب المعادلة ويضغط الجانب الإسرائيلي ويضعف موقفه كثيراً، ولكن لا يمكن أن يتم ذلك في غياب الوعي بمدى عمق الأزمة التي يعيشها الكيان الإسرائيلي وخطورة مخططاته الرامية لتصفية قضية القدس بشقيها الديني والتاريخي لصالح مشروعه ولحل أزمته على حساب المدينة المقدسة وهويتها الحضارية.

Reference

Abu Hasnah, Nafidh. (N.D). Mashru‘ al-Quds al-Kubra. (Online) Retrieved (25 May 2010), from http://www.palestine-info.info/arabic/books/beet_maqdes/maqdes137.htm

The Applied Research Institute-Jerusalem, Retrieved (20 May 2010), from http://www.poica.org

The Central Bureau of Statistics (Israel), Press Release no. 106/2006, “Jerusalem Day”, (May 24 2006)

The Central Bureau of Statistics (Israel). (2009). *Statistical Abstract of Israel 2009 No.60*. Jerusalem: CBS

The Central Bureau of Statistics (Israel), Statistical Abstract of Israel 60-2009, Retrieved (19 May 2010), from http://gis.cbs.gov.il/website/shnaton60_eng/viewer.htm

Choshen, Maya and Korach, Michal. (2010). *Jerusalem: Facts and Trends 2009/2010*. Jerusalem: Jerusalem Institute for Israel Studies

Da’irat Shu’un al-Mufawadat – Munazzamat al-Tahrir al-Filistiniyyah, Qadaya al-Wad‘ al-Da’im – al-Quds – Mulakhkhas, Retrieved (19 May 2010), from http://www.nad-plo.org/ar/inner.php?view=nego_permanent_jerusalem_sum

Al-Dajani, Burhan et.al. (1969). *Al-Kitab al-Sanawi Li al-Qadiyyah al-Filistiniyyah Li-‘Am 1967*. Beirut: Mu’assasat al-Dirasat al-Filistiniyyah

Haddad, Yusuf Ayyub. (2004). *Hal Li al-Yahud Haq Dini Aw Tarikhi Fi Filistin*. Beirut: Bisan li al-Nashr wa al-Tawzi‘ wa al-I‘lam

Israel Ministry of Foreign Affairs, Jerusalem: The City’s Development from a Historical Viewpoint, Retrieved (18 May 2010), from http://www.mfa.gov.il/MFA/MFAArchive/1990_1999/1998/7/Jerusalem-%20The%20City-s%20Development%20from%20a%20Historica

Israel Ministry of Foreign Affairs, Law of Return 5710-1950, Retrieved (2 June 2010), from http://www.mfa.gov.il/MFA/MFAArchive/1950_1959/Law%20of%20Return%205710-1950

Jewish Virtual Library, Affinities Toward Jerusalem, Retrieved (18 May 2010), from http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/History/meijer.html

Al-Jihaz al-Markazi li al-Ihsa’ al-Filistini. (2009). *Kitab al-Quds al-Ihsa’i al-Sanawi Raqam 11*. Ramallah: al-Jihaz al-Markazi li al-Ihsa’ al-Filistini

The Jerusalem Institute for Israel Studies, The Municipal Area of Jerusalem 1952-1993,

Retrieved (21 May 2010), from http://jiis.org/.upload/yearbook/2007_8/shnaton%20a0104.pdf

Levine, Lee I. (2008). *Jerusalem in Jewish history, tradition, and memory*. In Tamar Mayer and Suleiman Ali Mourad (Ed.), Jerusalem Idea and Reality (pp. 27-46). London: Routledge

Madinat al-Quds, Retrieved (6 June 2010), from http://www.alquds-online.org/index.php?s=news&cat=&id=3049

Marakaz al-Quds lil-Huquq al-Ijtima'iyyah wa al-Iqtisadiyyah, Musadarat al-Aradi wa al-Istitan, Retrieved (19 May 2010), from http://www.jcser.org/arabic/index.php?option=com_content&view=article&id=6&Itemid=9

Mcgirk, Tim. (2006). Hatred (of Gays) Unites Jerusalem's Feuding Faiths. (Online) Retrieved 6 June 2010, from http://www.time.com/time/world/article/0,8599,1554629,00.html

Mu'assasat al-Quds al-Dawliyyah. (2007). *Al-Quds – Hasad al-Arba'in*. Beirut: Mu'assasat al-Quds al-Dawliyyah

Sabbagh, Karl. (2007). *Palestine - a Personal History*. New York: Grove Press

Al-Shami, Rashad 'Abdullah. (1997). *Ishkaliyyat al-Hawiyyah Fi Isra'il*. Kuwait: al-Majlis al-Watani Li al-Thaqafah wa al-Funun wa al-Adab

Al-Zaghah, Wafa' 'Abd al-Karim. (2010). La Ma'na Lil-Quds Bidun al-Haykal. (Online) Retrieved 6 June 2010, from http://www.alhiwar.net/ShowNews.php?Tnd=4844

About the Author

Abdallah Ma'rouf Omar (Ph.D) is a Lecturer at the Islamic Community College, Al-Balqa' Applied University in Jordan. He is specialized in Middle Eastern and Jerusalem Studies, his current research concentrates on the historical and theological claims to Jerusalem and its influence on the contemporary history of the Middle East and the current on-going conflict in the region. He can be contacted at *a.omar09@aberdeen.ac.uk.*